نساء "بدون"

أبنائي يعتبرون والدهم رجلا غريبا، يمثلونه بابانويل الذي يأتي على رأس كل سنتين يقدم الهدايا ويترك برد المشاعر ثم يرحل! الكتب في غيابه جعلتني أرى الأشياء بشكل جديد، جعلتني أفهم حقيقة أن يكون المرء إنسانا له وجود معترف به، وكم هو تساؤل الوجود صعب وعميق؟

لاحظت في قراءتي لرواية ساق البامبو كيف يلقب غير الكويتي "بدون"، وتذكرت أن حامل الهوية في ذات الوطن قد يكنى أيضا بدون. لا زلت ليومنا هذا أتساءل لماذا مقابل "مهنة" بالبطاقات الوطنية للنساء غير العاملات توجد تعريفة: "بدون" ماذا تعني؟ إلى أي حد قد يكون الإنسان فعلا بدون، ألا يكتفي الرجل الذي يعبئ الفراغ أن تلك التي تجلس في البيت تخدمه وتربي أبناءه لها عمل من أنبل الأعمال في الدنيا، أن تحبل وتنجب وترضع وتربي وتسهر وعندما يكبر ابنها ويشتغل بمصلحة الضبط يكتب لها "بدون"!

أحاول أن أفهم قواعد البشر فتضيع مني الطريق، أيتها الكتب لماذا فعلتي بعقلي الذي يثقل جمجمتي كل هذه الأشياء وأنتِ تنامين مطمئنة البال؟ وربما أنت ساهرة ترهقين فِكرا آخر غيري.